الخميسية

نشرة

نشرة فصليَّة تصدر عن مركز حمد الجاسر الثقافي - العدد السادس - ربيع الأول ١٤٣١ هـ

عدد خاص

للاحتفاء بمعالي الدكتور

أحمد بن محمد الضبيب

موقع مركز حمد الجاسر الثقافي: طالعوا كل جديد في لقاءات الخميسية ومجلس الأمناء واللجنة التنفيذية واللجنة العلمية ومجلة العرب وإصدارات المركز
الموقع على الإنترنت هو www.hamadaljasser.com - www.hamadaljasser.net

أيام الدرس مع د. الضبيب

*د. أبوأوس إبراهيم الشمسان

كنا مجموعة صغيرة من الطلاب (العجاجي، المرزوق، العامر، الأتاسي،الشمسان، الغامدي، العويشق، أبو جبال)، مقبلين على الدرس والتحصيل، بادرت وقد علمت أن الدكتور الضبيب سيعلمنا الأدب الجاهلي والأموي إلى اقتناء كتاب الدكتور شوقي ضيف الأدب الجاهلي وبدأت قراءته استعدادًا لفهم الدروس. كانت المفاجأة لنا جميعًا أن أستاذنا العزيز دخل علينا وبيده شرح المعلقات السبع للزوزني، وهكذا وضعنا مباشرة أمام نصوص الشعر الجاهلي، وبدرس شمولي كانت القراءة من كل فرد بالتناوب والشرح والتحليل، كان علينا لذلك أن نستعد بقراءة تلك القصائد لنحسن قراءتها في الفصل، وطالبنا أستاذنا بالتحليل الأسلوبي الأدبي لتلك القصائد مراعين أثر الجرس في التعبير عن مضامين القصائد وعلاقة المعجم بمقتضيات الوفاء بالتعبير عن تلك المضامين، كل واحد منا كان يجتهد في كتابة تحليله للقصيدة ثم يأتي ليقرأها أمام الزملاء ليناقشها الآخرون مناقشة ناقدة مستفيدين جميعًا من ملاحظات أستاذنا وتوجيهاته، بدأت محاولاتنا ساذجة سطحية أول الأمر ثم أخذت تتحسن مع الوقت، ولست أنسى ما وقع بيني وبين أستاذي من الخلاف في بيت لبيد بن أبي ربيعة:

مِنْ كلِّ سَارِيَةٍ وغادٍ مُدْجِنٍ ××× وعشيَّةٍ متجاوبٍ إرْزَامُهَا

إذ كنت حين كتبت محللا قصيدته زعمت أنه استعمل (مدجن) وما فيها من تنوين وهبها رقة لا تناسب صورة السحب المتراكمة برعودها، فقال أستاذي بل هي مصورة بجرسها وما فيها من تفخيم الميم المضمومة والدال المنفجرة والجيم الشديدة، ثم إنه ملأ فمه بالكلمة وهو يلفظها ليقنعني؛ ولكن العناد استولى عليّ فلفظتها متعمدًا ترقيقها، فصار يلفظها مفخمة وألفظها مرققة، فلما استيأس مني تركني بعنادي لإدرك بعد ذلك أني أخطأت.

كانت تجربة قراءة القصائد وشرحها ثم كتابة تحليل لها ثم عرضه لنقد الزملاء تجربة ثرية وتدريبًا مبكرًا على مزاولة العمل العلمي، ولم يكتف أستاذنا بهذا بل كلفنا قراءة كتب تتعلق ببعض القضايا المهمة في تاريخ الشعر الجاهلي فقرأنا كتاب مصادر الشعر الجاهلي لناصر الدين الأسد، وقرأنا ما كتبه طه حسين وغيره عن قضية الانتحال، ومن أهم التجارب العلمية المبكرة التي عرضنا لها أستاذنا تكليفه لنا بصنع معجمات مفهرسة لدواوين مختارة من الشعر الجاهلي وكان علينا أن نفهرسه كلمة كلمة، فصنعت معجمًا لديوان امرئ القيس، وأذكر أن الغامدي صنع معجم ديوان أوس بن حجر. كان لصنع المعجم أثره في تدريبنا على دقة العمل والتصنيف والصبر على العمل الشاق. كان أستاذنا مع لطفه ودماثة خلقه حازمًا. أذكر أنني تأخرت عن تحليل بائية ذي الرُّمّة:

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ ××× كَأَنَّهُ مِنْ كُلى مَفْرِيَّةٍ سَرِبُ

كانت الاختبارات النهائية على الأبواب، وكنت أريد الانصراف إلى الاستعداد لها، فرجوته أن يقيلني من تحليل القصيدة وقد كانت آخر التكاليف؛ ولكنه رفض رفضًا باتًا، ثمّ إني دفعت بزميلي الغامدي أن يتوسط لديه فرده ردًّا حازمًا، فوجدت نفسي ملزمًا بذلك التحليل، فكان أكثر ما كتبت توفيقًا بشهادة أستاذي الذي وجه طلابه الذين خلفونا إلى قراءته.

ويظل أستاذنا موضع الإعجاب والتقدير، فهو من أكثر المهتمين بالعربية المنافحين عنها الحاملين همومها المشاركين بفعالية بكل ما من شأنه تطوير درسها، وهو مثابر على متابعة المؤتمرات والمشاركة فيها، وحضور الندوات والتعقيب بما يثري جوانب موضوعاتها، فما حضرت له محاضرة أو سمعت له تعقيبًا إلا وازددت منه معرفة، وتعلمت منه شيئًا جديدًا، فلا زال الله منعمًا عليه بالصحة ونافعًا به العربية، وأهلها.

*أستاذ النحو والصرف- قسم اللغة العربية - جامعة الملك سعود

الدكتور الضبيب محققًا كتاب الأمثال لأبي فيد السدوسي أنموذجًا

*د. عبدالعزيز المانع

أستاذنا العالم الجليل الدكتور الضبيب أستاذٌ عالمٌ بحرٌ من أي النواحي أتيته، فهو لغوي أديب محقق مترجم شاعر وقل أن تجتمع هذه الصفات إلا في أمثاله.

رافقته في الحضرِ والسفرِ فعرفته عن قرب، وكنت دائمًا المستفيدَ من علمه وخلقه؛ لا أذكر أنه أشكل عليَّ شيءٌ في قضية علمية وسألته عنها إلا وجدت الإجابة عنده. واليوم وخميسية شيخنا، علاَّمة الجزيرة، المرحوم حمد الجاسر تكرمه ببعض مايستحق أجد أن نفسي تواقة للمشاركة في تكريم هذا العالم الجليل رغم أنها مشاركة المُقِلِّ.

لقد رأيت أن أتوقف عند أول أعمال الدكتور الضبيب العلمية في حقل التحقيق، وهو كتاب الأمثال لأبي فيد السدوسي، وهو توقّف سيثبت دون شك مكانة الدكتور الضبيب في هذا الحقل، فالضبيب الطالب الذي يتخرّج لتوه من جامعة ليدز ويلتحق بآداب جامعة الرياض (الملك سعود حاليًا) يبادر مباشرة - وبثقة الأستاذ الجاد الذي قرر سلفًا ماذا يريد أن يفعل – ويبدأ بتحقيق كتاب الأمثال ويجعله باكورة إنتاجه في حياته العلمية. إن المطلع على عمل الدكتور الضبيب في هذا الكتاب سَيُفَاجَأ كما فوجئتُ بهذا العمل المتميّز الذي يوحي إليك أن محققه قد أمضى سنوات طوال في ممارسة التحقيق لكي يخرج الكتاب بهذا المستوى من الدقة والإتقان.

ولعل رحلةً مع عمل الدكتور الضبيب في هذا الكتاب توضح بعض المقصود.

يبدأ الباحث عمله بمقدمة قيِّمة عن تاريخ الأمثال العربية فيبين أنها مرت بمراحل ثلاث:

الأولى: كانت على أيدي الأخباريين والقصاص بدءًا بعبيد بن شرية الجرهمي الذي نسب إليه ابن النديم كتابًا بعنوان «كتاب الأمثال»، وتبعه بعد ذلك علاقة الكلابي الذي ألَّف كتابًا في الأمثال، ذكر ياقوت أنه يقع في خمسين ورقة.

أما المرحلة الثانية: فقد انتقل إلى الاهتمام فيها بالأمثال من أيدي الأخباريين إلى أيدي اللغويين في القرنين الثاني والثالث الهجريين حيث ألَّف هؤلاء العلماء أكثر من عشرة كتب في الأمثال – قام الدكتور الضبيب برصدها – بدءًا بكتاب أبي عمرو ابن العلاء (ت 145هـ) وانتهاءً بكتاب ابن السكّيت (ت 243هـ).

ولعل أهمية كتاب أبي فيد (ت 198هـ) أنه –مع آخر- العملان الوحيدان اللذان وصلا إلينا من مؤلفات هذه المرحلة.

ثم تأتي المرحلة الثالثة: وهي مرحلة الجمع والمزج بين ماجاء عند الأخباريين واللغويين، وتصنيفه في موسوعات عامة تميَّزت بالترتيب والتنسيق مثل كتاب «جمهرة الأمثال» للعسكري (ت 395هـ) و«مجمع الأمثال» للميداني (ت 518هـ) و«المستقصى» للزمخشري (ت 538هـ) وهذه الكتب – كما يقول الدكتور الضبيب- تعدُّ مجمعًا لأمثال العرب منذ الجاهلية حتى القرن السادس.

ثم ينتقل بعد هذا التاريخ للأمثال العربية إلى الحديث عن أبي فيد السدوسي وعن مكانته العلمية وشيوخه فيذكر أن مؤرجًا جاء من البادية وليست لديه معرفة ما بالقياس في العربية بل كانت معرفته له معرفة قريحة ؛ وهذا مما يجعل الدارسين والمتخصصين يثقون بقراءة مؤرج للأمثال بخاصة، واللغة والتراث بعامة.

يضاف إلى ذلك تتلمذه على الخليل ابن أحمد في البصرة حتى عُدَّ ثالث ثلاثة من تلاميذ الخليل بعد النضر بن شميل وسيبويه.

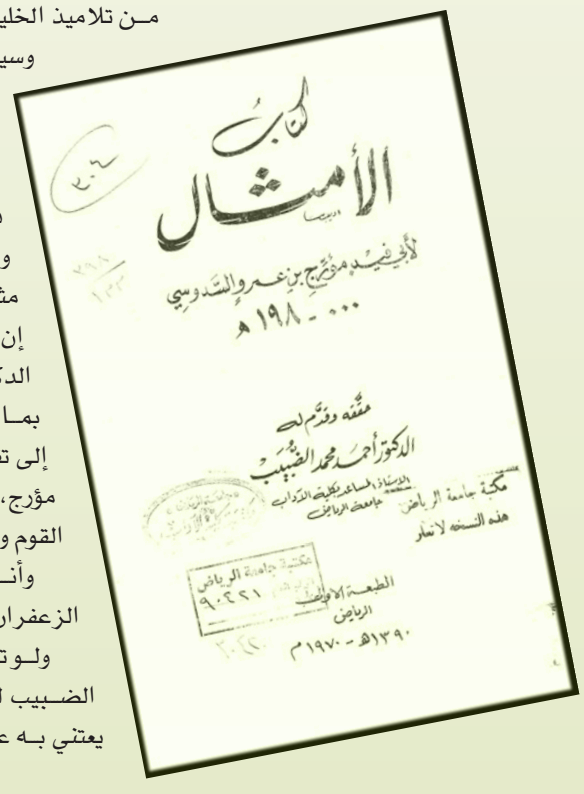

ولعل من المثير في مؤلف هذا الكتاب هو اسمه وكنيته «مؤرج، أبو فيد» ويبدو أن هذا الاسم وهذه الكنية لم يكونا مثيرين لقُرَّائه فحسب، بل إن المؤلف نفسه –كما يقول الدكتور الضبيب- قد أحسَّ بما فيهما من غرابة دعته إلى تفسيرهما إذ قال: «اسْمِي مؤرج، والعرب تقول: أرجتُ بين القوم وأرشتُ: حرشتُ ! وأنا أبو فَيْدٍ، والفَيْدُ: ورد الزعفران» !

ولو توجهنا إلى تحقيق الدكتور الضبيب لنص الكتاب لوجدناه يعتني به عناية فائقة، فيذكر أولاً عناية الناسخ الشديدة، في ضبط النص، والتفريق بين المعجم والمهمل، والتأكيد على عدم اختلاط هذه الحروف بالحروف المشابهة لها، ثم يتحدث عن طريقة رسم الحروف وعلامات المد والهمزات والحركات في المخطوط.أما منهجه في الكتاب فلا شك أن الدكتور الضبيب قد آزر ما في الكتاب من دقة في الضبط بدقة في القراءة والتخريج لكل ماأورده أبو فيد من لغة أو شعر أو رجز أو قصص أو غير ذلك، معتمدًا -اعتماد الدقيق في التحقيق- على كتب اللغة وكتب الأمثال والنوادر والغريب، وكتب الأدب مطبوعها ومخطوطها وذكر الاختلاف بين ما في هذه المصادر وماأورده أبو فيد في الأمثال، كما عمد إلى الترجمة للأعلام المجهولة في الكتاب ناصًّا بثقة العالم عن عدم عثوره على بعض المجاهيل من الأعلام الواردة في الكتاب كمشرد الأقران السدوسي وأبي دوست.

إضافة إلى ذلك فقد عمد إلى الشرح اللغوي لجلاء غوامض اللغة في الكتاب ثم ختم الكتاب بتسعة فهارس: للمصادر والمراجع، والأمثال، والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والشعر، واللغة، والأعلام، والأماكن، والمحتويات.

بكل هذه العناية خرج هذا الكتاب الصغير في حجمه الكبير في مكانته وقدره مثالاً للتحقيق العلمي الرصين الذي يحتذي به طلاب التحقيق في المنهج والدقة والإحاطة والتمكن من إدراك كنه النص المحقق. إن إخراج الدكتور الضبيب لهذا الكتاب في بداية حياته العلمية ليدل دلالة واضحة على تمكنه من اللغة والأدب منذ سنوات الطلب المبكر إذ لايمكن أن يكون قد اكتسب كل هذه الثقافة من دراسته الجامعية أو العليا، كما أنها تدل دون شك على عشق واضح لتلك اللغة وآدابها صاحبه منذ شبابه. لعل من الطريف أن ينشر هذا العمل العلمي الأول للدكتور الضبيب أول مرة في العدد الأول من مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض! رعى الله أستاذنا الجليل وأمد في عمره وزاده توفيقًا وصحة وسعادة.

*أستاذ الأدب العربي القديم بجامعة الملك سعود - ورئيس كرسي عبدالعزيز المانع للغة العربية وآدابها

نشرة الخميسية
المشرف العام: د. ناصر الحجيلان
سكرتير التحرير: ماجد اللحيدان
المحررون: صالح الزهراني - إبراهيم عبّود - زهير النجار - محمد المقرمي
التصوير: أحمد الخولي
التصميم والإخراج: أحمد ربيع
هاتف: 2178221
فاكس:2178223
ص.ب: 66225
الرمز البريدي: 11576
بريد إلكتروني
info@hamadaljasser.com
tohjcc@gmail.com

الضبيب العاشق للغة القرآن المناضل من أجل إحيائها

*د. عمر بامحسون

شكراً لمركز حمد الجاسر الثقافي الذي أتاح لي فرصة غالية ثمينة بالدعوة الكريمة التي تلقيتها من الأخ العزيز د. ناصر الحجيلان لأسهم مع غيري من الإخوة الأجلاء محبي ورواد منتدى خميسية حمد الجاسر للكتابة عن معالي الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب لنشر ما تسطره أقلامهم عن هذا العالم الجليل في نشرة الخميسية التي تصدر عن مركز حمد الجاسر الثقافي.

لقد كنت وما زلت أتحرق شوقاً لأعبر عما يجيش بصدري من حب وتقدير وإعجاب بمعالي الأستاذ الدكتور أحمد ابن محمد الضبيب، وقد قبلت تلك الدعوة الكريمة لأن أدلي بدلوي مع أحبائي من محبي الدكتور الضبيب ووجدت في نفسي رغبة ملحة بأن أرد لأستاذنا الجليل بعض ما يفرضه الواجب علي وعلى جميع من التقى به وانتفع بفيض علمه الزاخر مما يحتم علينا جميعاً توقيره وتكريمه وفاء لشخصه المعطاء وإجلالاً وتثميناً لجهوده الخيرة ومواقفه المشهودة في تعظيم شأن لغة القرآن الكريم، ودعوته لإعلاء شأنها وإعادة مجدها ورونقها بعد أن تنكر لها أهلها وتخلوا عنها. وكان لا بد أن أسهم بجهد المقل وزاد الفقيرتقديراً للقامة الشامخة العالم الجليل الأستاذ الدكتور أحمد الضبيب، فلم أشأ أن أرد الدعوة الكريمة التي تلقيتها من الأخ الدكتور ناصر الحجيلان للكتابة عن هذه الشخصية الفذة.

لقد تشرفت باللقاء بمعالي الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب في خميسية الجاسر التي يمثل أستاذنا الجليل بحق أحد أعمدتها الراسخة ومفكريها ومتحدثيها الأجلاء ضمن كوكبة من المفكرين والأدباء الذي أثروا ذلك المنتدى العريق بعصارة فكرهم ورحيق مداد أقلامهم، فكان المنتدى منذ أن أسسه شيخنا الجليل المغفور له بإذن الله الشيخ حمد الجاسر وما زال منارة من منارات الثقافة والعلم ، ومنبراً للكلمة الصادقة والبحث الرصين والأدب الراقي والحوار الهادف البناء دونما إسفاف مما جعل أفئدة أهل الفكر والثقافة والفن والأدب في مدينة الرياض تهوي إليها وترشف من معين علمها وأدبها،

إن القرب من معالي الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب يتيح لمن يحظى بتلك السانحة التعرف على إنسان متميز بكل ما تحمل الكلمة من معنى، فهو المتحدث اللبق والعالم المفكر والشخصية المحبوبة القريبة إلى النفوس. لقد ازدادت معرفتي بمعاليه وإعجابي بشخصيته عندما حظيت بأن أكون قريباً منه عندما سافر ضمن صفوة مختارة من أدباء ومفكري خميسية الشيخ حمد الجاسر في رحلتهم إلى محافظة حضرموت للالتقاء بأشقائهم من الأدباء وأهل الفكر والثقافة في محافظة حضرموت، فقد شرفنا مع الإخوة الأجلاء بالاستجابة للدعوة المقدمة لهم من الأخوين الشيخ المهندس عبد الله أحمد بقشان والشيخ عبدالله سالم باحمدان، فجاءت الاستجابة الكريمة منهم لتلك الدعوة تعبيراً وتجسيداً لمشاعر الحب والتآخي والوشائج الحميمة التي تربط بين الشعبين في البلدين الشقيقين وتعميقاً للعلاقات والصداقات الحميمة التي تربط بين أبناء حضرموت وأهلهم من مواطني المملكة العربية السعودية، وتفضل الوفد الكريم من خميسية حمد الجاسر بتجشم مشاق السفر للالتقاء بأهلهم ومحبيهم في حضرموت فقد تركت تلك الزيارة أثرها الطيب وذكراها العطرة في نفوس الجميع.

لقد تشرفت مجلة شعاع الأمل التي تصدر في محافظة حضرموت بنشر كلمات معالي الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب المعبرة عن مشاعره وانطباعاته عن اللقاء بأدباء حضرموت، وعبر فيها عن نظرته المتفائلة لمستقبل العلاقات الثقافية بين الأدباء في البلدين الشقيقين المملكة العربية السعودية واليمن، فكانت عبارته التي ختم بها حديثه للمجلة تحمل في ثناياها الأمل والتفاؤل عن واقع المشهد الثقافي في الجزيرة العربية واصفاً إياه بأنه مشهد متحفز نحو الأفضل وأنه يحتاج إلى بعض الوقت حتى يكون مشهداً متكاملاً بين جميع أجزاء الوطن العربي.

ولقد أسعدني معالي الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب كثيراً وشرفني بتقديم ورقة علمية في منتدى ثلوثية بامحسون الثقافي في الأمسية التي خصصها المنتدى لتكريم معالي الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد بعنوان (قراءة في المنهج العلمي للدكتور ناصر الدين الأسد). فكان إسهامه بتلك الورقة ومشاركته لنا في تكريم وتقدير معالي الأستاذ الدكتورناصر الدين الأسد لفتة بارعة من لدنه ودعماً وتشجيعاً لمنتدى الثلوثية. و زادني تشريفه لي وتحدثه في ذلك الحفل حباً وتقديراً وحباً له، فقد لمست من رواد منتدانا جميعاً تلك المشاعر الفياضة بالحب لشخصه الكريم ومدى التقدير والاحترام الذي يكنونه له.

إننا نعرف معالي الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب من خلال موقعه كعضو في مجلس الشورى، وكمدير لجامعة الملك سعود بالرياض فيما سبق، وكعضو في مجمع اللغة العربية وكأديب ومفكر، وكمهتم بالتراث من خلال حرصه على التحقيق والتنقيب في ما احتوته المكتبات من نوادر المخطوطات، وكعالم وباحث لغوي لا يشق له غبار، عشق اللغة العربية ونذر نفسه لخدمتها تدريساً وتعليماً وبحثاً وتأليفاً، وشرع سنان قلمه مدافعاً عنها وحامياً لها من التغريب ومن دعاة العامية من أدعياء الأدب الذين حملوا معاول الهدم والإفساد للغة الرصينة السليمة بمحاولاتهم الدءوبة لإضعافها وإبعاد الناس عنها من خلال أعمالهم الهابطة المقروءة والمرئية والمسموعة، فشاع اللحن والأخطاء النحوية والإملائية حتى ممن يحسبون من النخب المثقفة والمتعلمة.

إن ما قدمه معالي الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب خلال سنوات عمره الحافلة بالعطاء للغة العربية من رعاية واهتمام ودعوة صادقة للعناية بها وتقديرها من خلال جهوده الجبارة في هذا الجانب ودفاعه المستميت عنها، وتفاؤله وتطلعه وحلمه بأن تزهو وتزدهر وتعود إلى سابق مجدها لغة حضارة وعلم، ولغة أدب رفيع وشعر رائع وخالد، ولغة بلاغة وفصاحة وفن رفيع، ولغة جميلة حية قادرة على التجدد واستيعاب ومواكبة التطورات العلمية، وإن حلمه وهمه وحماسه الشديد ودعوته القوية للتمسك باللغة العربية وعمله على إحيائها وتجديدها هو ما أكسبه الحب والتقدير وامتلك به شغاف القلوب فخلد اسمه في وجدان الجميع ممن يشاركونه حب لغة القرآن.

شكراً لمركز حمد الجاسر الثقافي الذي درج على تكريم مثل هذه القامات الشامخة ممن اسهموا في خدمة العلم، وشكراً لمنتدى خميسية الجاسر ومركزها الثقافي لحرصهم على توثيق هذه المناسبة السعيدة بنشرها في نشرة الخميسية، فإن معالي الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب أهل للحفاوة والتكريم، أمد الله له في عمره لتقديم المزيد من العطاء ووفقه الله لخدمة اللغة العربية وإعلاء شأنها.

*مستشار قانوني

(الضبيب).. قيمة وقامة في جامعة القاهرة وجامعة الملك سعود

يمثل معالى الدكتور أحمد الضبيب قيمة علمية مميزة فى حقل الدراسات اللغوية وما حولها من جدل وحوارات وبحوث معمقة على مستوى الدراسات الاستشراقية والمترجمة بقدر اهتمامه بالتأليف والتحقيق مما يشي بموسوعية عطائه ا لمنهجي، ووقوفه في موقع الدفاع عن لغة الضاد التى طالما ألف بها وفيها ، إلى جانب ما ترجمه منها وإليها .

لعل جانبا من القيمة قد تجلى في مشهد التأليف بقدر تجليها في حضوره إلى القاهرة وزيارة قسم اللغة العربية وآدابها ومجمع اللغة العربية، ولاسيما حين تتزامن الزيارة مع مؤتمر مهم كما حدث في حضوره المؤتمر القومي الأول لقسم اللغة العربية في إطار الاحتفال بمئوية جامعة القاهرة حيث دار المؤتمر حول جهود أعلام القسم ورواده في تطوير مناهج دراسة الأدب العربي في مائة عام ... حيث بدأ حضور الأستاذ الدكتور الضبيب مؤشراً من مؤشرات دعم نجاح المؤتمر، وكانت مداخلاته علامة دالة على إحدى إشارات التوفيق من خلال لغة العالم وتواضعه الجم مع أصالة المنهج ودقته، وعمق الرؤية وصحة الفكر ورقي مستوى الحوار.

يظل عطاء الدكتور أحمد الضبيب بمثابة كشف منهجي يعكس صورة من أصالة استيعابه للموروث من منظور الإحياء والحوار والتفاعل، مع الوعي الفاعل بالمناهج المعاصرة لصناعة مشروع مستقبلي ناهض يحكي فصلاً من فصول تجديد القديم، وتأصيل المعاصر، وهذا هو محك التحدي الحقيقي الذي تحافظ عليه القامة العلمية حين تصل إلى القمة، وبذا يبدو عطاء القيمة والقامة من خلال موقع الدكتور الضبيب على القمة صورة متجددة للمثقف العربي الموسوعي عبر منتديات الفكر والأدب وآليات الحوار ومقدراته بالشكل الحضارى الذى ينبغي أن تتعلمه الأجيال الجديدة منه استكمالا لمسيرة عطائه الثر في كل المناصب التي تولاها من رئاسة القسم الأكاديمي، إلى العمادة، وتتويجاً بإدارة جامعة الملك سعود العريقة. لعل من حسن الطالع أن يكون الدكتور الضبيب واحداً من ألمع خريجي جامعة القاهرة ليظل اسمه مضيئًا فيها، ولتظل سمعته الطيبة دوما متألقة في سماء الجامعة الأم التي خرجت الأجيال من حماة اللغة وأساطين الفكر وأعلام الأدب. جمع الدكتور الضبيب بين موقعه العلمي والإداري بجامعة الملك سعود وموقعه العلمي المتجدد في مؤتمرات جامعة القاهرة ومجمع اللغة العربية بما يعمق جسور العلاقة المصرية السعودية من واقع عطاء متجدد، وفكر خصب، وعلم ناضج ومنهج بناء بما يستحق كل الإشادة وكل التقدير .

د. مي يوسف خليف
رئيسة قسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب جامعة القاهرة

كتاب الأمثال الصادر عن بيوت الشعر
تأليف: أبي عبدالله حمزة بن الحسن الأصفهاني (ت بعد 351)
تحقيق: د. أحمد بن محمد الضبيب

يتحدث الكتاب عن الأمثال والحكم التي وردت أساسًا في الشعر، إلا أن المؤلف خرج عن مقصود كتابه بتخصيصه الكتاب السادس للأمثال المختلفة الفنون من المنظوم والمنثور؛ حيث جعل الفصل الثاني من الباب السادس لأبيات صادرة عن أمثال النثر، ثم يتبع ذلك في الفصل الثالث من الباب ذاته لأمثال سارت عن أفواه ملوك الفرس لم يعثر عليها شعرًا فأثبتها نثرًا، منها حكم نثرية فارسية.

قسّم المؤلف كتابه سبعة أبواب، تحوي تسعة وخمسين فصلاً، ثم أتبعها بفصل منفرد ليكون عدد الفصول ستين فصلاً.

يتميز الكتاب بالأسلوب السهل في الكتابة، وهذا ما تميز به المؤلف في مؤلفاته عامة، إضافة إلى حسن الترتيب والمقارنات الشائقة. يبلغ ما جمعه المؤلف في أبواب كتابه من أمثال الشعر، سوى ما في المقدمة، 5464 مثلاً، إلا أن المؤلف لم ينسب شيئًا منها على الإطلاق، وهذا ما زاد العبء على المحقق؛ إذ لم يكن المؤلف مهتمًا بنسب الشعر إلى قائله، إنما كان همه أن يورد الشعر على الصورة التي يعرفها. لقد بذل المحقق جهدًا كبيرًا وشاقًا في تحقيق هذا الكتاب وإخراجه لنا في أبهى صورة بعد أن كان (مخطوطة) غير واضحة المعالم، هذا فضلاً عما بها من الزلل والسهو والخطأ فكان عليه أن (يصحح ويضبط ويرتب) تلك المخطوطة وينسب أبياتها إلى قائليها مع تنظيم دقيق وفهرسة قيمة ومفيدة، وشاملة للكتاب(فهرس الأحاديث النبوية، وفهرس القوافي، وفهرس الأعلام، وفهرس المحتويات)، وهذا الكتاب من القطع المتوسط، ويقع في 902د٧ صفحة شاملة للفهارس.

أثر الكثرة الكاثرة من حملة الدكتوراه "ضعيف جداً" .. د.الضبيب لـ "الخميسية":

علاقتي بالعلامة الشيخ حمد الجاسر "قديمة".. وأنا ابنه الروحي

تولى مناصب إدارية وتدريسية عديدة ، وهو علم من أعلام الثقافة والأدب، مشارك بفكره في صياغة القوانين تحت قُبة "الشورى" ، ويُعد نفسه "الابن الروحي" للشيخ العلامة حمد الجاسر، ويُعد العلامة "حمد الجاسر" والده الثاني.. التقيناه، فأتحفنا بهذا الحوار:

• توليتم مناصب تدريسية وإدارية كثيرة، فأيها كان أقرب إلى نفسك؟

- التدريس من أقرب هذه الوظائف إلى نفسي، لكني وجدت نفسي في كل المناصب التي توليتها، وأحببتها.

• بماذا تحتفظ ذاكرتكم من مواقف خلال الأعمال التي توليتموها؟

- كثيرة هي المواقف التي يتعرض لها الإنسان في حياته، وبخاصة إذا كان مسؤولا، فكيف إذا كان مسؤولا عن أعضاء هيئة تدريس كل واحد يعد نفسه -بحق- زميلاً ونداً، بصرف النظر عن الموقع القيادي. أذكر موقفاً -إصلاحياً- اصطدمت به مع أعضاء هيئة التدريس عندما كنت وكيلاً للجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي ورئيساً للمجلس العلمي، فقد أعدت النظر في قواعد ترقية أعضاء هيئة التدريس وجعلتها أكثر جدية، مستنيرًا بما يحدث في الجامعات المتقدمة. وكعادة كل إنسان استسلم لقواعد كانت سهلة وشبيهة بالمجانية لم يتقبل كثير من أعضاء هيئة التدريس ذلك، وكانت بيني وبينهم نقاشات انتهت بإقرار هذه القواعد في المجلس العلمي، الذي كان مكوناً من نخبة رفيعة من أعضاء هيئة التدريس المميزين، المخلصين لمهنتهم، وأصبحت قواعد الترقية في جامعة الملك سعود مثالاً يُحتذى في معظم الجامعات في المملكة والخليج.

• أنتم من أوائل من حصل على الدكتوراه في المملكة، ما شعوركم آنذاك؟ وما رأيكم في كثرة الحاملين لها الآن؟

- عندما تخرجنا كانت الدكتوراه عزيزة، لأن البعثات كانت في بدايتها، وكانت الحاجة ماسة لإعداد جيل من أساتذة الجامعة، كي يقوموا بالتدريس فيها، وإدارة شؤونها. كان الهدف واضحاً، وكان المبتعثون جميعاً يشعرون بأنهم مجندون لتحقيق هذا الهدف، وعندما ذهبوا إلى الخارج وعادوا بخبرات وتجارب جديدة، ومشاهدات عديدة عايشوها في الغربة، حاولوا تطبيق ما تعلموه من منهج، وما تعلموا معه من نظم وتقاليد جامعية في تلك البلاد المتقدمة. وكان في ذهن كل عائد أن يجعل من الجامعة صرحا للعلم يضاهي ما هو موجود في البلاد التي نال منها الدكتوراه، ويستشعر في نفسه واجباً عليه لوطنه أن يقدم له عصارة علمه وتجربته. هكذا كان شعورنا، وهذا ما عملنا من أجله بعدما عدنا إلى أرض الوطن.

أما الآن فإن الإنسان يشاهد أعدادا هائلة من البشر تحمل شهادة الدكتوراه، بعض هذه الشهادات حقيقي ينتمي إلى جامعات عريقة، يعمل معظم حامليها في السلك الأكاديمي، وبعضها شهادات وهمية أو شبه وهمية، أخذت من جامعات تجارية همها الحصول على أموال مشتري الشهادات دون فائدة علمية، وغاية حامليها الأولى والأخيرة الوجاهة الاجتماعية، ووضع حرف الدال أمام الاسم، فهي شهادات خاوية من معناها السامي، وخالية من مضمونها العلمي، الذي يضع حاملها في صف الباحثين والمفكرين الذين يحتاجهم الوطن والبشرية للتقدم والرقي. لذلك فإننا نجد أن أثر هذه الكثرة الكاثرة من حملة الدكتوراه الاجتماعية ضعيف جداً، بل ربما أضر بمسيرتنا نحو التقدم والنمو أكثر مما نفع.

• حظيت جامعة الملك سعود بمعظم جهودكم الأكاديمية والإدارية، فكيف ترونها الآن؟

- جامعة الملك سعود، جامعة محظوظة، أسست ولله الحمد على أسس ثابتة من الجدية والانضباط الأكاديمي، ولم تحد عن هذا الطريق في جميع العهود، لم تتساهل في إعطاء الشهادات، ولا فتح أبواب الدراسات العليا، ولا الترقيات العلمية. لأنها كانت دائما تحسب الأمور بمقياس تحقيق معايير الجودة، التي تضاهي ما يوجد في الجامعات الأجنبية الراقية. والآن وهي تقفز قفزات نحو التقدم، وتحقيق المزيد من معدلات الجودة، وذلك ليس غريباً عليها، ولا على أبنائها الذين يقومون عليها، فتلك طبيعتها، وذلك منهجها وقدرها.

• ماذا قدمت لكم التجربة الطويلة في مجلس الشورى؟

- تجربة مجلس الشورى تجربة رائعة وعميقة، فالعضو في المجلس يطل من شرفة واسعة على الوطن، يشاهد إنجازاته ومشكلاته، ويراقب أداء مؤسساته الرسمية، يحاول أن يقدم الحلول للمشكلات، والاقتراحات للتحسين، هو مؤتمر ترتفع فيه الأصوات ملتقية ومتباعدة، لكن الاعتدال غالبا هو الذي يسود. مجلس الشورى يقوم بعمل ممتاز وبخاصة إذا أحسن اختيار أعضائه، بناء على الكفاية العلمية والإدارية والخبرة العملية.

• لكم عضوية في مجامع لغوية عربية، كيف ترون هذه المجامع، وهل أدت مهامها المفترضة؟

- المجامع اللغوية العربية تتجاوز تجربتها الآن التسعين عاما، أنشئ أقدمها (مجمع دمشق) إبان الاحتلال الفرنسي، وأنشئ المجمع المصري إبان الاحتلال الإنجليزي لمصر، وقام المجمعان بأداء رسالتهما للحفاظ على اللغة العربية، والوقوف أمام المد الأجنبي وتشويه اللغة العربية، ولهما جهود ملموسة في سك المصطلحات العلمية من أجل إقدار العربي علة نقل العلوم الحديثة إلى اللغة العربية بسهولة ويسر. والآن تدخل المجامع العربية في مختلف الدول العربية مرحلة جديدة هي مرحلة العولمة بهجومها الشرس على العربية، وعلى كل ما هو ثقافي، من أجل ترسيخ الاستلاب ومسخ الهوية. ولذلك فإن على المجامع أن تعيد حساباتها، وأن تجدد وسائلها وآلياتها، وأن تبتدع مناهج جديدة من أجل الحفاظ على اللغة العربية في ظل العصر العولمي الذي لايعترف بخصوصيات الشعوب ولا بهوياتها.

في تصوري أن المملكة العربية السعودية بما تملكه من إمكانات مادية وتقنية وبشرية- هي القادرة على إنشاء مجمع للغة العربية، تتحقق فيه مواصفات المجمع اللغوي الحديث، القادر على خدمة اللغة العربية بما يتناسب والمستقبل. فنأمل أن يوفق الله قادة بلادنا لتحقيق هذا الأمل الذي يتطلع إليه أبناء الأمة العربية، والذي سيكون من مآثر هذه البلاد ومفاخرها.

• عُرفتم بأنكم من المدافعين عن استخدام اللغة العربية الفصحى في جميع المجالات، إلى أين وصلت جهودكم في هذا المجال؟ وهل أدت إلى نتائج عملية؟

- سبق أن سئلت هذا السؤال فقلت بأن التجاوب ضعيف لا يكاد يشاهد، والغريب أن كثيرًا من المسئولين يقتنعون بالكلام نظريًا، لكن عند التنفيذ تجدهم يفعلون العكس، فقلوبهم مع اللغة العربية أما سيوفهم فمع اللغة الأجنبية. وفي هذه الحالة ما على الإنسان إلا أن يبرئ ذمته، وأن يبلغ قبل حدوث الكارثة، ويكون قد أدى ما عليه بالصوت وبالقلب، مادام أن اليد غير قادرة على التغيير.

• بعد أن كثرت الدراسات العليا في بلادنا، كيف ترون أوجه الاختلاف في الدراسات العليا بين الدول الأجنبية والدول العربية؟

- الاختلاف في الجدية وتحديد الأهداف. والدراسات العليا في الغرب دراسات تخصصية يقوم بها الشخص ليحسن من إمكاناته البحثية، فهي وجهة إنسان شغوف بالعلم، يريد أن يلتحق بمؤسسة تحتاج هذا النوع من الخبرات، إما جامعة أو مؤسسة بحثية، أو غير ذلك. أما في بلادنا فقليل من الدارسين يلتحق بالدراسات العليا من أجل هدف بحثي، أو ليؤدي عملا يقوم على البحث العلمي، معظم الدارسين يحاولون الحصول على الماجستير والدكتوراه من أجل تحسين الوضع الوظيفي، ووضع الشهادة ضمن مسوغات الترقية، وبعضهم يستخدمها وسيلة للبروز الاجتماعي. ولذلك كثر الخريجون وندرت الفائدة المرجوة منهم.

• ترتبطون مع الشيخ حمد الجاسر -رحمه الله- بعلاقات وذكريات، وتابعتم هذه العلاقة حتى الآن في (مجلة العرب)، ومركز حمد الجاسر الثقافي، وندوته الخميسية، هل تتكرمون بالكشف عن هذه العلاقة؟

عَطَاءٌ بلا حَصْرِ

شعر: د. عوض بن حمد القوزي

ألقيت هذه القصيدة في حفل استقبال الدكتور أحمد بن محمد الضبيب عضوًا عاملاً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، في يوم الأحد 17 صفر1426هـ الموافق27مارس 2005م:

عَرفتُكَ عـنْ قُـرْبٍ، وإنِّي لَـذو خُبرْ
عَرَفْتُـكَ إنْسَـانًا وَفِيًّـا أَبَـا عَمْـرِو
وَرَدْتَ لِرَكْـبِ الخَالديـنَ مُعَاهِـدًا
عَلى خِدمَةِ الفُصْحى فَجِئْتَ على قدْرِ
وأنـتَ ابْنُهـا رُبِّيْـتَ فِيهـا فأنْهجَـتْ
بِكَ الـدَّرَّ مِـدْرَارًا وقَد شُـحَّ بالدَّرِ
وسَـالَتْ يَنابيعًـا وقَـدْ جَـفَّ مَاؤهَـا
فحَوَّلْـتَ ذَاكَ النَّبْعَ نَهْرًا إذا يَجرِي
خَدَمْـتَ لِسَـانَ الضَّـادِ مُـذْ كُنْـتَ يافِعًـا
وَمَازِلْتَ تُعطِيها عَطَاءً بِلا حَصْـرِ
رَعَيْـتَ صُـرُوحَ العِلْـمِ فانْداحَـتِ الدُّجَـا
وأَسَّسْتَ للبحثِ العَميقِ صُوَى السَّبْرِ
وتَرْعـى شُـؤُونَ الضَّـادِ في كل مَحْفَـلٍ
وحَسْبُكَ مَا قَدَّمْتَ من طَيِّبِ النَّشْرِ
فَجِيْـلاً رأيْنَـا بعـدَ جِيـلٍ رَعيتهُـمْ
وكُنتَ لَهُمْ بحماً مُضيئًا إذا يَسْري
فَطِيْبَـةُ نَشْـوَى اليَـوْمَ بابْـنٍ يُبرُّهـا
وأمُّ القُـرى مَزْهُـوَّةٌ بابنِهـا الحَبر
ومِـن جَـذَلٍ لَـفَّ الخُزَامـى ذرَاعَـهُ
على الشِّيحِ والقَيْصُومِ في بَاقَةِ الزَّهْرِ
وأبْنَتَهَـا وَسْـطَ الرِّيَاضِ خَمَائِـلاً
بِنَجْـدٍ أقامتْ مَحْفلاً بِاسْـمَ الثَّغْرِ

- علاقتي بالعلامة الشيخ حمد الجاسر-رحمه الله- علاقة قديمة، تمتد إلى أيام الطفولة الأولى، فقد كنت أراه دائما يزور والدي -رحمه الله- في مكة المكرمة، وأحيانا يأخذني الوالد معه لزيارة الشيخ حمد في منزله. كانت علاقته بوالدي متينة، فكانا يلتقيان كثيراً إذا كانا في مكة، ويتبادلان الرسائل إذا غاب أحدهما عن الآخر، وكان والدي -رحمه الله- يثني على الشيخ كثيراً، ويحبه ويحرص على قراءة بحوثه التي كان ينشرها في أم القرى أو غيرها من الصحف السعودية. وكنت أقوم بقراءة هذه البحوث لوالدي لأن نظره لم يكن يمكنه من القراءة كما يجب. وقد كتب الشيخ عن والدي -رحمه الله- في كتابه (سوانح الذكريات)، ورثت هذه المحبة والصداقة للشيخ من والدي، ثم استحكمت هذه العلاقة -على أساس ثقافي وعلمي- عندما كبرت وأخذت أقرأ للشيخ، وأنحاز له عن اقتناع في معاركه المختلفة لثقتي فيه، وكنت ألقاه كثيراً فإذا كان في الرياض غشيت مجالسه، وإذا سافرت إلى بيروت اتصلت به في مقر مجلة العرب، وكذلك في مصر عندما كان يأتي إلى القاهرة، لحضور مؤتمر المجمع كنت أذهب إليه وأفيد من جلساته. ثم جمعتنا عضوية مجمع اللغة العربية في القاهرة فازدادت اللقاءات، وأصبحت أراه يومياً في المجمع وفي منزله، وعندما أصدر العرب من بيروت كنت من أوائل السعوديين الذين كتبوا فيها، وكان -رحمه الله- واسع الأفق فقد نشر لي بحثا في نقد أحد منشوراته وهو كتاب (رحلة إلى بلاد نجد) للأديب آن بلنت. وهو نقد لم يكن يخلو من بعض الشدة. كان -رحمه الله- يبادلني الكثير من مشاعر المحبة، ويحثني على الكتابة، ويعدني ابنا روحيا له، وأنا كذلك.

• قال عنكم الدكتور حسن ابن فهد الهويمل: (التراثي المعاصر) هل توافقونه على هذا الوصف، وما موقفكم من التراث والمعاصرة؟

- الدكتور حسن الهويمل من مفكرينا الذين يهتمون برصد الواقع الثقافي، وهو ممن يعتد برأيه، وإذا كان ما قاله الدكتور حسن يتضمن معنى ما سأقوله فإنني أوافقه عليه، أنا ممن يدعو إلى النظر إلى التراث بعيون عصرية، لست من الحرفيين الجامدين على النصوص، لا أرى أن روح النص أهم من حرفيته، وفيما عدا المقدس من الكتاب والسنة فإنني لا أعتقد العصمة لأي أحد من الأسلاف، وأرى أن باب الاجتهاد يجب أن يفتح على أوسع أبوابه، وأن العلماء في كل اختصاص مؤهلون لفتح باب الاجتهاد، والولوج منه إلى فقه -في كل العلوم- يناسب الحياة العصرية. كما أعتقد أن وسائلنا الحاضرة من حيث المنهج، والمواد العلمية والتراكم المعرفي أكثر توافرا مما كان يوجد لدى الأسلاف.

وهذا ما يؤهل الجادين منا لولوج باب الاجتهاد.

أسئلة في دقائق:

• الحكمة التي ترددونها دائما:

«وما أوتيتم من العلم إلا قليلا».

• العبرة التي خرجتم بها في الحياة:

هي عبرة أبي الطيب:

ولو كانت الأرزاق تأتي على الحجى
هلكن إذن من جهلهن البهائم

• الجوائز التقديرية كافية أم نحتاج إلى العشرات منها؟

الجوائز مظهر من مظاهر الوفاء الجميل، ونحتاج إلى الكثير منها، بشرط أن تمنح لمن يستحقها.

• ماذا بقي من ذكريات الطفولة في مكة المكرمة؟

لم يبق بعد أن درست الآثار التي ولدت فيها ودرجت عليها هناك إلا المحبة والتعظيم لتلك البقعة المقدسة.

• مالذي يزعجكم حقا؟

المزعجات كثيرة لكن من أهمها في نظري: انتشار التسيب واللامبالاة في المجتمع، وعدم الانضباط وفقدان الإحساس بالزمن.

• طرائف مرت بكم ما زالت مسجلة في الذاكرة حتى الآن؟

من الطرائف أنني عندما كنت مديرا للجامعة طلب رجل الدخول إلي في مكتبي، ولم يعط اسمه لمدير المكتب، قال له: هو يعرفني بمجرد دخولي عليه، نقل إلي مدير المكتب ذلك، فقلت له: أدخله. عندما دخل لم أعرفه، قلت له من الأخ الكريم؟ قال ألا تعرفني؟ أنا فلان، الشخص الذي صدم سيارتك عند مخابز المختار في شارع الستين منذ أكثر من عشر سنوات، فقلت له: أنت الذي أوشكت أن تقتل طفلتي الصغيرة ليلى وهي تهم بدخول السيارة ذلك اليوم، ولكن الله سلم، قال: نعم. وهذه هي العلاقة التي بيني وبينك، وأعتقد أنك ستقدرها وتقضي طلبي!!

مشروع العالِم والإنسان أ.د. أحمد الضبيب

د. عبدالله التطاوي

عظيم ورائع أن تخصص خميسية حمد الجاسر نشرتها في هذا العدد، عن العالِم اللغوي الجليل والأستاذ الفذّ صاحب الاجتهاد الملموح والمشروع العربي الطموح معالي الدكتور أحمد الضبيب.. فالشكر واجب لخميسية الجاسر أولا على حرصها على عميق ثقافة التعريف بالعلماء الأجلاّء حتى لا تختلّ الذاكرة العربية في زحام مشاهد الجحود والنكران التي تحتاج أن يعتدل الميزان من خلال عميق ثقافة التواصل والوفاء، بما يرسخ مفهوم القدوة والنموذج والمثال، ذلك الذي رسمه جيل الدكتور أحمد الضبيب، وقد نال معاليه قصب السبق بين أقرانه ونضرائه حتى فاقهم في كثير من ملتقيات الفكر التي تصدح بسياسات الإصلاح اللغوي، باعتباره من أهم مرتكزات الهوية وضمان سلامة مستقبل الأمة، أو تصدع بنداءات التحديث والتطوير.

الحديث عن معالي الدكتور الضبيب عالِمًا وإنسانًا يتجلى في أربعة مرتكزات:

الأولى: دوره في إثراء المكتبة العربية من خلال ما ألفه وحققه وترجمه، إلى جانب انشغاله الدائم بقضايا التراث ومناهج الاستشراق، وصولاً إلى موقعه واحدًا من حرّاس العربية وسَدَنَتها وفرسانها، حين يذود عنها في زحام عصر العولمة.. ومع مؤلفاته تجلى دوره في التعليم الجامعي أستاذًا بالجامعة مع تدرجه عبر المناصب القيادية من القسم العلمي إلى العمادة، ثم إدارة الجامعة بين وكيل ثم مديرًا لها.. وكلها مناصب أكاديمية رفيعة المستوى والدلالة، وأحسب أنه قد شرّف تلك المناصب بعطائه ومنهاجه وجده واجتهاده.

الثاني: التميز الخاص للدكتور أحمد الضبيب في ملتقيات الفكر ومنتديات الحوار وجدليات المعرفة، بكل ما تعكسه مشاركاته من قيم علمية رصينة، وأسلوب حواري رفيع، وكأنه يعلّم الأجيال كيف يكون تواضع العالِم وثقته في مصادره ومرجعياته واستقصاء الظواهر واستقراء الأشياء، عبر منهج علمي محكم لا يعرف العشوائية أو الارتجال، ولا يرتضي التسطيح أو الانتصار لغير الحق.

الثالث: دور الأستاذ الدكتور أحمد الضبيب في عضوية المجالس، ورئاسة بعض منها، إلى جانب مشاركاته بالحضور والمداخلة والدراسات في مؤتمرات محلية وعربية ودولية.

الرابع: البعد الإنساني الذي ينعكس دومًا في لقائك بالدكتور الضبيب في تواضع جَمّ واحترام للكلمة، وكأنما يضع ميثاق شرف الأعراف العريقة ومنظومة القيم الراسخة والتقاليد الجامعية كلما شارك في حوار أو مداخلة، إلى جانب ما متعه الله به من حسن اللقاء، وطيب المعشر، فإذا بك تحب أن تراه وأن تسمعه بقدر حبك للمناقشة والجدل معه، وهذا شأن علماء الأمة من كوكبة الشوامخ، الذين يحرصون على صناعة تلك الازدواجية الهادئة بين التراثيّ والمستحدث، وينطلقون من احترام الثوابت والرموز والمقدسات بقدر تقديرهم لثقافة الاختلاف والاستماع إلى الآخر، وهذا شأن مهم في فضاء المشاكسات الأدبية واللغوية بما يحيطها من متاعب يعرفها ذوو الاختصاص والخبرة. لعل هذه المرتكزات الأربع، إلى جانب موسوعية الفكر ورحابة الأفق، وسعة الصدر وانفتاح العقل لدى العالِم الجليل الدكتور الضبيب، مما لا يختلف عليه اثنان، بما يدعو إلى المزيد من الاحترام، ويستحق كل مفردات الإشادة والثناء، وبقدر ما يدعو إلى وجوب الدعاء لمعاليه بموصول الصحة والسعادة، ودوام العطاء وموفور التوفيق والسداد فيما يستقبل من أيامه الطيبة – بإذن الله – كما أصاب فيما استدبر منها، أمدّ الله في عمره رمزًا لغويًا وأستاذًا عربيًا بارعًا وإنسانًا رائعًا بكل المعايير، نفع به الله البلاد والعباد في كل مواقع العلم والعمل، وبارك في أبنائه وأحفاده الذين يجمعهم به رحم العلم وساحة المعرفة.

*المستشار الثقافي المصري بالرياض

ذكريات مع الضبيب

* د. حسن محمد الشماع

نزيل فينّا كُنّا في طريق العودة من الدرعية إلى الرياض، بعد زيارة قصيرة –كانت هي الأولى بالنسبة لي– حين أشار الدكتور أحمد الضبيب إلى أرض صحراوية مجدبة على الجانب الأيسر: هنا ستقام مباني جامعة الرياض في المستقبل.

كان ذلك الحديث في شتاء عام 1390هـ - 1970م، والمستقبل يعني لي يومذاك الامتداد الزمني بين عشرة إلى عشرين عامًا، ومعنى ذلك أن الأمر لايعنيني من قريب أو بعيد، لأن إقامتي في المملكة، وفي أحسن الأحوال سوف لن تتجاوز عامين، ولكن شاءت الظروف والأقدار، وحسن الحظ أن أمكث في هذا البلد الطيب حتى صيف 1406هـ-1986م.

وقبل أن أغادر الرياض بساعات ذهبت إلى مكتب الدكتور الضبيب، وهو يوم ذاك وكيل مدير جامعة الملك سعود، مسلمًا ومودعًا، ولاحت مني التفاتة من النافذة المطلة على الحرم الجامعي وتلك المدينة الرائعة التي امتدّت شرقًا وغربًا، وغزت الصحراء وحولتها إلى مبانٍ وجنانٍ خضراء.

خلال تلك الحقبة الزمنية التي امتدت إلى ستة عشر عامًا عرفت د. الضبيب، وهي كما أرى مدة كافية لأن أقول كلمتي فيه.

عرفته في أول لقاء عندما كان رئيسًا لقسم اللغة العربية، ثم عميدًا للمكتبات، وودعته وكيلاً لمدير جامعة الملك سعود.

في مطلع العام الدراسي 1391-1392هـ اجتمع القسم لتمديد وتجديد رئاسة الدكتور الضبيب. إلا أنه اعتذر. فألحّ عليه الزملاء، لكنه أصرّ على موقفه،لأن أعمال القسم ترهقه وتعيقه عن متابعة البحث والعمل الأكاديمي.

بين إلحاح الزملاء ورفض الضبيب تقدمت باقتراح مفاده: أن أقوم بإعداد الجداول الدراسية وتحرير محاضر جلسات القسم وبعض الأعمال الروتينية الأخرى. فلم يبقَ أمام الضبيب سوى النزول عند رغبة الأعضاء ويتقبل رئاسة القسم لمدة عامين قادمين. خلال عملي مع الضبيب ازدادت صلتي به، وتعرفت عليه بعد أن توطدت العلاقة بيننا، فوجدته إنسانًا مخلصًا في عمله، دؤوبًا صبورًا، لايكل ولا يمل، يعمل بأناة وصمت، ودقة متناهية، ويشعرك –وهو المتفضّل– بأنه أنجز واجبًا دون أن ينتظر كلمة شكر أو امتنان.

إن قدرة الضبيب الفائقة على الجمع بين العمل الأكاديمي والعمل الإداري تدعو إلى الإعجاب والتقدير، فهو كان ومايزال موفقًا ومتمكنًا في كلا الحقلين. أما طموحه في مجال البحث والتأليف فلا يقف عند حدٍ. ولا أدل على ذلك سوى غزارة ووفرة إنتاجه العلمي في حقل التأليف والتحقيق والنقد والترجمة. لقد وقفت على إحدى خرائده وهو كتابه: على مرافئ التراث. قرأته مرة وأخرى وأفدت منه، ولي مع هذا السفر قصة طريفة، إن دلت على شيء، فإنما تدل على مدى كرم الضبيب وسخائه. وسأرجئ الحديث في هذا الموضوع، على أملٍ أن أعود إليه في مكانٍ آخر من هذا المقال، إن شاء الله.

إن هذه الأحكام ليست من قبيل المجاملة، إنما هي خلاصة تجارب امتدت إلى قرابة أربعين عامًا، إلى يومنا هذا.

لقد كانت غرفة الضبيب والتي يشاركه فيها الدكتور حسن الشاذلي، ملتقى الزملاء، فهي أشبه بنادي أعضاء القسم. كما يؤمها زملاء آخرون من أقسام أخرى، وفي أوقات الفسح تتحول اللقاءات إلى مجالس أدبية وحلقات دراسية. وعندما أُنشئت عمادة المكتبات كان الدكتور الضبيب أول عميد لها، وفي عهده تطورت مكتبة الجامعة ومكتبات الكليات تطورًا أشبه بالخيال. لقد ترك الضبيب فراغًا كبيرًا عند مغادرته القسم إلى عمادة المكتبات، فهو بالإضافة إلى طبيعته الاجتماعية، يتمتّع بذوقٍ راقٍ، وحسٍّ مرهفٍ وحرصٍ على التواصل مع الآخرين، فلا غرو أن يؤمّه الزملاء إلى مقره الجديد بين حينٍ وآخر. في صيف عام 1980م –إذا لم تخنّي الذاكرة– رافقت الدكتور الضبيب لمدة أسبوعٍ واحدٍ إلى المكتبة الإمبراطورية –قسم المخطوطات العربية– في فينّا، لاختيار أهمها من بين قرابة ألف مخطوطة. كان لقاؤنا في اليوم الأول مع مدير المكتبة وعددٍ من العاملين معه، لوضع اتفاق يتيح لنا الاطلاع على المخطوطات العربية واختيار بعضها مع تصويرها، فتمّ لنا مانريد، وشرعنا بالعمل حتى ساعة متأخرة من ذلك اليوم.

اتضح لنا ضخامة المهمة مع ضيق الوقت، فقرر الضبيب أن نبكّر بالعمل في اليوم الثاني، في الساعة الثامنة صباحًا، كما هو المعتاد في جامعة الملك سعود في الرياض، أمرٌ مقبولٌ ومعقولٌ.

وعندما حلّت الساعة الثانية بعد الظهر، أشرتُ إلى أن الدوام أوشك على الانتهاء. فنظر إليّ متسائلاً: ومتى ينتهي الدوام في مكتبة فينّا؟ أجبته: في السادسة مساءً. فقال: لابأس، نحن نخضع لنظام المكتبة هنا ونواصل العمل. ضحكت بملءِ فمي، وقلت: يا أبا عمرو، في الصباح نبدأ بتوقيت الرياض وفي المساء ننتهي بتوقيت فينّا؟!

تُرى كيف تجمع الصيف والشتاء على سطحٍ واحدٍ ؟!

ابتسم صاحبي، ثم تروّى قليلاً، وسرعان ماتحولت نظراته المتفحصة وأسلوبه المتأني إلى حوارٍ جادّ: نحن هنا لإنجاز هذه المهمة، وهي لاشك عسيرة ومرهقة، ومكتبة فينّا –حسب الاتفاق– منحتنا التسهيلات اللازمة، وهي غير قابلة للتجديد والتمديد. تُرى أليس بوسعنا أن نُضَحّي خلال هذا الأسبوع بعضًا من الوقت ونضاعف من جهودنا؟ إنها فرصتنا الوحيدة. وكيف سيكون الأمر لو عدنا ونحن لم نُنْتَهِ من هذه المهمة؟

لم يبقَ لي خيارٌ سوى أن أوافقه الرأي، فهو على صواب.لقد تعلمت خلال تلك الأيام، الإصرار على العمل، والتأنّي الذي يتحلى به الضبيب، والصبر مع الدقة المتناهية. لقد كُنّا في غاية السعادة عندما أنجزنا العمل في اليوم السادس، يوم السبت ظهرًا مع إغلاق المكتبة أبوابها تقريبًا. وقبل أن أُسدِل الستار على هذا الفصل، لابد أن أذكر حادثة طريفة: كان اليوم الثالث من عملنا في قسم المخطوطات في فينّا، إذ طلع علينا الأستاذ الدكتور إسماعيل بلج، الباحث الإسلامي، الذي يعمل في المكتبة الإمبراطورية، وهو من مسلمي يوغسلافيا، وبصحبته رجلٌ كبير السن. قدمه إلينا: إنه من مسلمي البوسنة، ولديه مخطوطة عربية يرغب في عرضها عليكم، ويطلب فيها ألف شلن نمساوي (حوالي 240 ريالاً سعوديًا).

تناولها الضبيب وراح يقلّب صفحاتها، إنها بخط حسنٍ، وعلى مايبدو من القرن العاشر الهجري، وموضوعها النحو العربي. أعادها الضبيب إلى صاحبها وأبدى عدم رغبته فيها. أعطيت للشيخ ألف شلن وتسلمتها، فهي في نظري تستحق أضعاف هذا المبلغ. وفي مساء ذلك اليوم، بعد الانتهاء من العمل، رافقت الضبيب إلى فندق الهلتون حيث يقيم، وقبل أن أودعه على أمل اللقاء غدًا، قال: ألا تعيرني المخطوطة؟ إنني سأبقى اليوم في الفندق وسأسعى لقراءة بعض صفحاتها، وربما خلال الأيام التالية.

غادر الدكتور الضبيب فينّا والمخطوطة بحوزته. وعند عودتي إلى الرياض في مطلع العام الدراسي، أخبرني محاسب الكلية بأن لي استحقاقًا قدره (130 ريالاً). سررتُ بهذا الخبر، ولكن عندما اطلعت على المرفق دُهِشْتُ، وسارعت الخطى إلى عمادة المكتبات، فاستقبلي الدكتور الضبيب مع ضحكة تخفي علامات كثيرة، وقبل أن أبدأ بالحديث، سألني: هل تسلمت ثمن المخطوطة التي اشتريناها؟

اشتريناها ؟! أنا الذي اشتريتها. فأجاب بهدوئه المعهود مع ابتسامة: صحيح، أنت الذي اشتريتها، نعم، كان ذلك خلال ساعات العمل، وكل عملٍ يُنجَز، فهو يعود بلا شك إلى جامعة الرياض.

في الحقيقة أضحكني وأسعدني هذا التعليل القانوني، الذي غاب عن ذهني، وهذه اللغة الضبيبية الرائعة.

فقلت له: يا أباعمرو، إنني لم أتسلّم المبلغ حتى الآن، وهو نصف سعر الشراء، لكنني سأهديها لمكتبة الجامعة إرضاءً لك واعترافًا بالجميل.

انتهت قصة المخطوطة، لكنها أصبحت نكتة الموسم، أرددها حيثما حللت. ومرت الأيام وإذا بخطاب من جامعة الرياض مع شيك بمبلغ طيّب جدًا، مع الشكر للمجهود الذي بذلته في أسبوع فينّا! هذا هو الضبيب كله كرمٌ وطيبٌ.

ومازلت في حديث كرم الضبيب، سأروي هذه الطرفة التي وعدت القارئ الكريم بها، وهي تتعلق بكتابه "على مرافئ التراث" وهو من مطبوعات دار العلوم في الرياض عام 1401هـ-1981م. يجمع الكتاب بين دراسات عالجت قضايا تراثية وأخرى وقفات نقدية حول بعض الأعمال التي نُشِرَت حينذاك وتتصل بالتراث أيضًا.

وفي زيارتي للأخ أبي راكان (عبدالله ناصر العوهلي) في مكتبه بدار العلوم أهداني نسخة من كتاب "على مرافئ التراث" ، كعادته كلما زرته أكرمني وأتحفني بالجديد من مطبوعات الدار.

قرأتُ الكتابَ بإمعان وأُعجِبتُ به أيما إعجاب. وعندما التقيت بأخينا الضبيب، قدّم لي نسخة من "المرافئ" محلاة بكلمة الإهداء بتاريخ 1401/7/14هـ. ولم أخبره بهدية العوهلي، وإنني قرأت الكتاب بالتمام، لكي لا أُحرَم من عطائه ثم مرّت الأيام والتقيت بالدكتور الضبيب في عمادة المكتبات ورأيت "المرافئ" على مكتبه، فاستأذنته فأخذت نسخة ورحت أقلب في صفحاتها، وكأنني أرى الكتاب لأول مرة، فنظر إليّ نظرة تعجُّب واستغراب مع الشك، فواصلت قراءة بعض العناوين بصوت مسموع، فتناول صاحبي نسخة من المرافئ وحلاها بكلمة الإهداء بتاريخ 1401/8/20هـ. وزرت الضبيب في داره مهنّئًا ومسلّمًا، ورأيت "المرافئ" على مكتبه، فأعدت المسرحية مرة أخرى.

كانت نظرات أبي عمرو قد تجاوزت الشك إلى اليقين، فسألنني بكلمات متأنية متقطّعة: ألم أهدك نسخة من الكتاب عندما زرتني في مكتبي في العمادة؟ جاء الجواب على عجل: نعم، أظنك أهديتني كُتَيّب الأعمش الظريف.

لقد تغلّبت طبيعة الكرم الضبيبية ومنحني النسخة الثالثة. كذا كنتَ ومازلتَ يا أباعمرو كريمًا بالطبع، سخيًا مع أصحابك وإخوانك.

إن العلاقة الأخوية التي امتدّت على مدى أربعين عامًا، حتى يومنا هذا، حافلة بالذكريات الجميلة، ومع الأسف لايسعني الإدلاء بها لضيق الحيّز المتاح لي في هذه المناسبة.

وعذرًا لك، يا أباعمرو، إن اقتصدت في الحديث، وطويتُ صفحات حليتها بمكارمك ومواقفك النبيلة.

إن هذه الكلمة المقتضبة هي اعترافٌ بالجميل، من أخٍ لاينسى أفضالك.

*أستاذ الأدب العربي بجامعة فيينا

تحية لمعالي الدكتور أحمد الضبيب

*د. محمد الهدلق

ما أن يذكر اسم معالي الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب في مجلس من المجالس حتى ينصرف الذهن رأسا إلى العلم،والأدب، والجامعة ،وما يتصل بهذه الأمور من علاقات وأواصر.فأبو عمرو، متعه الله بوافر الصحة والسعادة، رجل عشق العلم منذ الصغر؛ فقد رباه والده على حب العلم، وعلى الجد والمثابرة ،وربَطَه بالكتب منذ أن كان في عمرٍ ينصرف فيه عادة من هو في مثل سنه عن الكتب إلى أمور هي أكثر إغراء وأخف على النفس.لقد كانت لوالده،رحمه الله،مكتبة منزلية تضم عددا طيبا من المصادر الشرعية والأدبية، نشَّأ ابنه على التردد عليها، والنهل من معينها .ومن هنا نشأ الدكتور الضبيب عاشقا للتراث مهتما بدراسته ورصده. وتتبع السيرة الذاتية والأدبية للأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب أمر يطول شرحه لو حاولت الوقوف عند تفاصيلها ،ولهذا فإنني سأكتفي بإشارات موجزة لعلها أن تكون مناسبة لقراء نشرة الخميسية.

لقد التحق أحمد بن محمد الضبيب في مطلع شبابه بالمعهد العلمي السعودي بالمدينة المنورة ،وفي هذا المعهد بدأت تتفتح مواهبه،ففيه بدأ في قرض الشعر والمساهمة به في الحفلات التي كان يقيمها المعهد العلمي بالمدينة المنورة. فقد ورد في العدد 9690 من جريدة البلاد، الصادر في يوم الأحد 31 جمادى الآخرة من عام 1411 ، تحت عنوان:(البلاد أيام زمان: حفلة المعهد العلمي والمدرسة الثانوية بالمدينة تكريما لسعادة وكيل وزارة المعارف) ما يلي:

« في الساعة الثانية عشرة والنصف من بعد مغرب يوم الإثنين الموافق 16/5/?? أقام طلاب المدرسة الثانوية والمعهد العلمي مشتركين حفلاً أدبياً رائعا لسعادة فضيلة وكيل وزارة المعارف الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، وقد دُعي إليه جميع المدرسين ،ورؤساء الدوائر ،وأعيان أهل المدينة،وافتُتِح الحفل بتلاوة آي من الذكر الحكيم رتلها الطالب بكر أبو العلا ،ثم تقدم الأستاذ عبد العزيز الربيع مفتتحاً الحفل،...ووقف بعده الطالب أسامة عبد الرحمن مُقدِّما قصيدة ،ثم أزيح الستار عن الفصل الأول من تمثيلية «بئر زمزم» ، وبعدها قدم الطالب أحمد الضبيب قصيدة...وبعدها تقدم الطالب عبد الرحمن الأنصاري بكلمة...».

وبعد تخرج الدكتور الضبيب في المعهد العلمي التحق بكلية الآداب بجامعة القاهرة، ومن هناك أخذ يبعث بمقالات عن «أبي الطيب المتنبي» إلى صحيفة «الرائد» التي كان يرأس تحريرها الأستاذ الأديب عبد الفتاح أبو مدين. وبعد عودته من البعثة إلى مصر عُيِّنَ معيداً بكلية الآداب بجامعة الملك سعود في عام 1380.ثم ابتعثته الجامعة بعد ذلك إلى بريطانيا لإكمال دراسته العليا ،وقد حصل على الدكتوراه من جامعة ليدز في عام 1966/1386 م ،وكان موضوع رسالته: « دراسة نقدية للأمثال العربية القديمة في كتاب مجمع الأمثال للميداني»، وبعد عودته من البعثة إلى بريطانيا عمل مدرساً بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب بجامعة الملك سعود،ثم تدرج في السلم الأكاديمي حتى حصل على رتبة الأستاذية في عام 1398.كما أنه قد تدرج في السلم الإداري من قائم بأعمال رئيس قسم اللغة العربية وآدابها،إلى رئيس لهذا القسم لمدة خمس سنوات ،ثم عيِّن أول عميد لشؤون المكتبات لمدة ست سنوات،ثم عيِّن وكيلا للجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي ،واستمر في هذا المنصب إلى أن أسندت إليه إدارة جامعة الملك سعود وذلك خلال الفترة من 1410 - 1416. وبعد انتهاء فترة إدارته للجامعة عُيِّنَ عضوا في مجلس الشورى،وبعد انتهاء فترة عمله في مجلس الشورى عاد ،بدءا من الفصل الدراسي الأول لهذا العام 1431/1430 ،إلى تقديم بعض المحاضرات لطلاب الدراسات العليا في قسم اللغة العربية وآدابها.ولا شك أن زملاءه وطلابه في القسم في غاية السعادة بهذه العودة المباركة. وفي أثناء هذه المسيرة الجامعية العلمية قام الدكتور الضبيب بأعمال لها صفة الريادة والأوَّلية: فقد أسس في عام 1386 ،بعد حصوله على الدكتوراه مباشرة،جمعية اللهجات والتراث الشعبي بالجامعة ،وهي أول جمعية بالمملكة،وكان أول رئيس لها.

أسس في عام 1387 مُتحَف التراث الشعبي بكلية الآداب،وظل يطوره ويشرف عليه فترة طويلة.

أهلته شهرته الأكاديمية والأدبية لأن يصبح أول أمين عام لجائزة الملك فيصل العالمية منذ إنشائها في عام 1397.وقد ظل يشغل هذا المنصب إلى أن عُين وكيلا لجامعة الملك سعود للدراسات العليا والبحث العلمي.

كما أهلته منزلته العلمية؛ لأن يصبح عضوا في عدد من المجالس واللجان نذكر من بينها:

- عضو المجلس الأعلى للآثار.
- عضو المجلس الأعلى للإعلام.
- عضو أكاديمية المملكة المغربية منذ إنشائها في عام 1980.
- عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- عضو مجمع اللغة العربية بدمشق
- عضو مؤازر بالمجمع العلمي العراقي ببغداد.
- عضو المجلس الاستشاري لمركز الدراسات العربية في جامعة جورج تاون بواشنطن.
- عضو مجلس أمناء مركز الشيخ حمد الجاسر الثقافي.
- رئيس اللجنة العلمية بمركز الشيخ حمد الجاسر الثقافي.
- رئيس تحرير «مجلة العرب» التي تصدر عن مركز حمد الجاسر الثقافي.

كما أن الدكتور الضبيب يحمل ميدالية الاستحقاق من الدرجة الأولى للمملكة العربية السعودية. ولا شك أن الأعمال الإدارية الجامعية قد أخذت الكثير من وقت الدكتور الضبيب،ولم تُبْقِ له منه ما كان يطمح إليه لكي يشبع نهمه في القراءة والتاليف. وبالرغم من الأعمال الكثيرة التي تولاها فإنه كان ينتهز سويعات الراحة القليلة فيخلو بنفسه في مكتبته العامرة لكي يبحث ويؤلف حتى تمكن من أن يخرج للناس كتبا ودراسات علمية رائدة في مجالاتها.ومن بين تلك الكتب:

1-كتاب الأمثال لأبي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي،حققه الدكتور الضبيب تحقيقاً علمياً أصيلاً ،وصدَّره بدراسة علمية متميزة.

2- ترجم إلى العربية كتاب الدكتور جونستون «دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية» ،وقد نشرته جامعة الملك سعود.

3-آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب،سجل ببليوجرافي لما نشر من مؤلفات، وقد نشر هذا الكتاب في عام 1397.

4-على مرافئ التراث:أبحاث ودراسات نقدية ،نشر عام 1401 .

5- الأعمش الظريف:أخباره ونوادره نشرته دار الرفاعي عام 1401.

6- بواكير الطباعة في بلاد الحرمين الشريفين.مطبوعات مكتبة الملك فهد عام 1408.

7- أوراق رياضية:منشور في سلسلة كتاب الرياض،العدد(5) عام 1414.

8- اللغة العربية في عصر العولمة،نشرته مكتبة العبيكان .

9- حقق «كتاب الأمثال الصادرة عن بيوت الشعر» لأبي عبد الله حمزة بن الحسن الأصفهاني ،نشرته دار المدى الإسلامي ببيروت عام 2009.

وهناك كتب أخرى يقوم الدكتور الضبيب بإعدادها للنشر من بينها:

- إخراج نسخة محققة تحقيقاً علمياً دقيقاً لكتاب مجمع الأمثال للميداني.
- حركة إحياء التراث في المملكة العربية السعودية ،وقد نشرت بعض مواد هذا الكتاب منجمة في مجلة الدارة وفي غيرها.

ومعالي الأستاذ الدكتورأحمد الضبيب رجل مهيب الطلعة ،وافر الرصانة،يحترم نفسه كثيراً،ويحلها المنزلة التي تستحقها. وهذه الخصال قد تدفع من لا يعرفه عن قرب إلى الظن بأنه متعال أو لا يحب الاختلاط بالناس. وقد كنت سابقاً ممن كاد أن يظن به هذا الظن .لقد كونت هذا الانطباع الخاطئ عنه في أول لقاء عابر جمعني به، وكان ذلك في العام 1699/1386 م ،وهو العام الذي عاد فيه من بعثته إلى بريطانيا. كنت في ذلك الوقت طالبا في السنة الأخيرة في كلية اللغة العربية بالرياض،وكان بعض طلاب تلك الكلية يترددون بعد العصر على مكتبة شهيرة في حي دخنة اسمها «المكتبة السعودية»،وقد احتجْت في أحد الأيام إلى استعارة كتاب من هذه المكتبة فقيل لي: إنه يتعين عليَّ، لسبب لا أذكره الآن،أن آخذ موافقة مدير المكتبة على الإعارة، فصعدت إلى مكتبه في الدور العلوي من المكتبة وهناك وجدت المدير،وكنت أعرفه من قبل،وكان الدكتور الضبيب جالسا عنده فعرَّفني المدير على الدكتورأحمد. وقد فرحت برؤيته كثيراً؛ لأنني وزملائي كنا نسمع من أستاذنا الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ،رحمه الله، أطرافاً من الحديث عن الدكاترة السعوديين الذين عادوا حديثا من بريطانيا،وكان ذِكْرُ أسمائهم يحلو لنا كثيراً فكنا أحيانا نفتعل الأسئلة لكي نجر أستاذنا الباشا إلى مزيد من الحديث عنهم على الرغم من أن المعلومات التي عنده عنهم كانت قليلة ،وذلك بسبب حداثة تخرجهم.

والصورة التي انطبعت في ذهني عن الدكتورالضبيب بعد ذلك اللقاء العابر في مكتب مدير المكتبة السعودية، ثم بعد ذلك بقليل ،عندما رأيته مرة أخرى وهو يغادر المكتبة قبيل أذان المغرب- وكانت في يده حقيبة بنية اللون على ما أظن- أنه كان رجلاً طويل القامة،ضارباً إلى الحمرة،يمشي بثقة، وأناة مشية تُذَكِّرني في بعض مظاهرها بمشية الأسد الذي خلد ذِكْره أبو الطيب المتنبي في قصيدته التي خاطب بها بدر بن عمار. وقد علمت لاحقاً من مدير المكتبة السعودية أن الدكتور الضبيب زار المكتبة من أجل الاطلاع على ما فيها من مخطوطات.بقيت تلك الصورة عالقة في ذهني لفترة طويلة،ثم شاءت إرادة الله أن نصبح زملاء في قسم اللغة العربية بكلية الآداب،ثم جيرانا في السكن الجامعي،ثم أصدقاء . ولقد عرفت معالي الأستاذ الدكتورأحمد الضبيب عن قرب فوجدت فيه العالم الجليل،والمحقق الثبت،والأديب الغيورعلى لغته وأمته .لا يهادن في الحق ،عَفُّ اللسان ،بعيد عن التكبروالتصنع،صادق الود،حافظ لحقوق إخوانه.

حفظك الله يا أبا عمرو،ووهبك الصحة وطول العمر.

*أستاذ النقد العربي بجامعة الملك سعود

من ذاكرة الصورة

في موريتانيا مع الرئيس المختار ولد داده

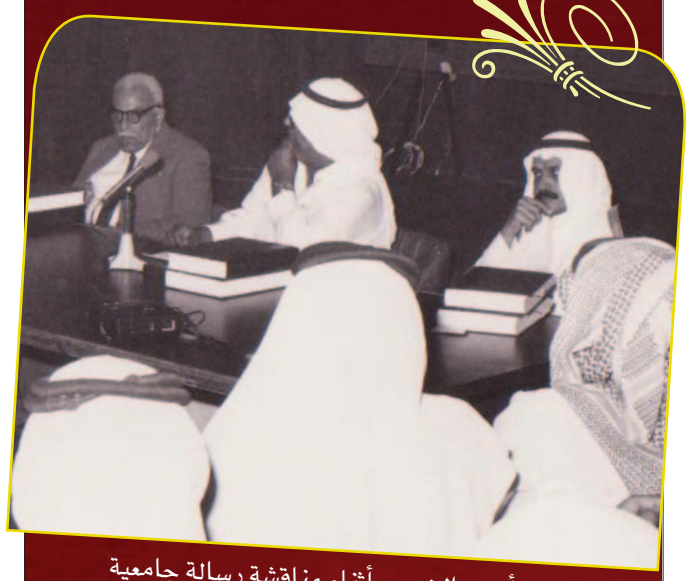

د. أحمد الضبيب أثناء مناقشة رسالة جامعية

د. أحمد الضبيب في رحلة طلابية لقسم اللغة العربية 1393هـ

رحلة جامعية 200

هكذا عرفته!

أ. سعد البواردي

عرفته سماعاً فسُمعةً فاستماعاً..وبين ثلاثية التعريف تجسد لك ملامح الشخصية بصورتها وإطارها دون تدخّل أو تطفّل.

سمعت به عن بُعد يوم أن كانت تفصلنا أبعاد الجغرافيا والديموغرافيا..هو في عالمه وأنا في عالمي..كلانا يشق دربه في الحياة وحيداً يبحث له عن موضع يثبت علية أقدامه على قدر له عن موضع يثبت علية أقدامه على قدر إقدامه..

سمعت به وعنه،فدائية طموح تدرج في سلم الحياة درجة درجة..أوصله السُّلم إلى نهايته بعد سعي حثيث حصد فيه المزيد من الشهادات والمزيد المزيد من الخبرات،تبؤا بها أعلى الدرجات العلمية والوظيفية وكان له ماأراد.

هذا السماع..أما عن السمعة فكان لها وجودها في تاريخ حياته الحافلة بالعمل وبالأمل ..كانت مواكبة لسيرته ومسيرته،يشهد بها الكثيرون ممن هم على قرب وعلى بعد عنه..حزم في الإدارة وعزم في الإرادة. هذا ماشهدتْ به وله مواقع العمل التي تبوأها،وهي كبيرة وكثيرة،ابتداء من السلك الأكاديمي الذي تدرج فيه في جامعة الملك سعود،مروراً بجائزة الملك فيصل العالمية،وصولاً على المجالس العليا والهيئات الاستشارية والأكاديمية داخل المملكة وخارجها،ومروراً بالمجامع العلمية والفقهية في أكثر من بلد عربي،ونهاية بمجلس الشورى.

محافل جَمَّة شهدت له بالكفاية العلمية والعملية،ناهيك عن محيطاته الفكرية التي أثرت الجانب اللغوي والثقافي إلى جانب الوجه الاجتماعي المحمود.

هذا عن السمعة فماذا عن الاستماع وهو بيت القصيد والقصد أيضاً ؟ تعرفت عليه عن كثب،وعرفته عن قرب،في سمته،في حديثه وصمته،في دعابته،وفي جدليته التي لاتثير ولاتستثير كنا معاً في «حضرموت»وكنا معا في«الجوف» مع صحبة متميزة من أمناء مركز شيخنا الراحل حمد الجاسر-يرحمه الله-أكدتْ لي بيقين لايقبل الشك أنني أمام إنسان يشدّك إليه الحب له،والاحترام له،والإشادة به..إنه الدكتور «أحمد بن محمد الضبيب» وكفى!

*أديب وشاعر وعضو مجلس أمناء مؤسسة حمد الجاسر الخيرية

أ.د. أبو عمرو بن محمد الضبيب

* د. عبدالله الصالح العثيمين

قبل نصف قرن؛ أي في عام 1959 م، كنت طالباً في السنة الأولى من كلية الآداب بجامعة الملك سعود. وكم كانت فرحتي أنا وزملائي عظيمة برؤية أبي عمرو في طليعة من انضموا إلى قسم اللغة العربية في الكلية معيداً تمهيداً لإكمال الدراسة العليا؛ ليكونوا بعد التأهل أعضاء هيئة تدريس في ذلك القسم. في ذلك الزمن كانت اللغة العربية وتعشق كلَّ العشق وتُقدَّر كلَّ التقدير. لكن مرور نصف قرن برهن على أنه حلَّ محلَّ المعشوقة في مهدها ومهبط الوحي المنزل بها محبوبة أخرى يشترط على من يرنو إلى عمل يؤمن حياته أن يتقن التعامل معها. كان أبو عمرو -بذوقه الرفيع وحسِّه الوطني المتوقِّد- عاشقاً للغة العربية اللغة الأم لأمتنا العربية. وما زال قلبه مُتَّقد الصبابة عشقاً لها، وما زال بطلاً متفانياً في الذود عن حماها. وما نُشِر له من أعمال جليلة؛ كتباً مستقلة ومقالات في عدة أمكنة وأحاديث في مقابلات وندوات مختلفة، يوضح صورة من صور ذلك العشق وجانباً من جوانب ذلك الذود المتفاني.

والحديث عن أبي عمرو عاشقاً للغتنا الجميلة، ومدافعاً عن حماها، يعرفه الكثيرون؛ وبخاصة ذوي الاختصاص في تلك اللغة وأدبها. ولست من هؤلاء بالتأكيد. على أن أبا عمرو له من صفات العالم الموسوعي الشيء الكثير. ومن هذه الصفات الموسوعية التي تحلَّى بها ما كتبه عن حركة إحياء التراث في وطننا العزيز؛ ولاسيما ما كتبه عن آثار الشيخ محمد بن عبدالوهاب. ومقدرتي البحثية المحدودة تكاد تكون محصورة في تاريخ ذلك الشيخ الجليل وتاريخ الوطن الذي شيدت أركان وحدته الحديثة فوق أسس دعوته الإصلاحية. ولذلك فإني سأتحدث عن إنجاز واحد من إنجازات أبي عمرو الموسوعي المتعددة؛ وهو كتابه «آثار الشيخ محمد بن عبدالوهاب».

إذا كانت كتابات أبي عمرو المُعبِّرة عن عشقه للغة العربية، المتفانية في الدفاع عن حماها، كتابات تَتَّسم بالجمال والرصانة فإنه لم يكن من المُتوقَّع، ولا كان من الواقع، إلا أن تكون كتابته البحثية مُتَّسمة بالأصالة؛ فكرة وطرحاً، والدقة؛ استقصاء في البحث، ورصانة في التعبير، ووضوحاً في الاستنتاج.

قبل ثلث قرن؛ أي في عام 1397هـ/1977م، أصدر الدكتور أحمد.. العالم الموسوعي.. ذلك الكتاب المتحدث عنه.. هنا في الرياض. ويَتكوَّن من مئتي صفحة. ويشتمل على مقدَّمة من 10 صفحات، مذيلة بلمحات من حياة الشيخ محمد في 5 صفحات، فكشاف للمختصرات والرموز في 5 صفحات، وبعد ذلك تأتي أبواب الكتاب الثلاثة من صفحة 12 إلى صفحة 156، ويتلوها ملحقان أحدهما عن الشروح في مؤلفات الشيخ محمد، والثاني عن بعض مصادر ترجمته. أما ختام الكتاب فهو فهارس أولها عن الآثار عن أعمال الشيخ، وثانيهما عن الأعلام الواردة في الكتاب، وثالثها عن الأماكن، فقائمة بالمحتويات.

وكتاب الدكتور أحمد عن آثار الشيخ محمد بن عبدالوهاب -كما ذكر على صفحة عنوانه - سجل بيليوجرافي لما نشر من مؤلفات ذلك الشيخ. وهو -كما ذُكِر في التعريف به في صفحة غلافه- ذو فائدة كبيرة، وأداة «لايستغني عنها الباحث الجاد في تراث الشيخ خاصة أو الدعوة الإصلاحية عامة، وعلاوة على ذلك فإنه يُعدُّ أول دليل يسجل الأعمال الكاملة لعالم من علماء الجزيرة العربية حسب قواعد علم البيليوجرافيا الحديثة». لقد أوضح الدكتور أحمد في مُقدَّمة الكتاب أهمية العمل الذي قام به، والجهد الذي بذله لإنجازه،كما أوضح طريقة ترتيبه للكتاب من حيث تقسيم أبوابه حسب الموضوعات، التي تناولها الشيخ محمد في مختلف أصول الدين وفروعه؛ معطياً أمثلة لها.

أما الباب الأول من الكتاب فهو عما كتبه الشيخ محمد، ونُشِر في قنوات متعددة، وهو من ثلاثة فصول أولها: عما ألَّفه ونشر على هيئة كتب مستقلة أو ضمن مجموعات. وثانيها: ما هو أجوبة عن أسئلة حولها أكثرها ضمن كتب ومجموعات. وثالثها: مشتمل على مكاتباته عن العقيدة؛ سواء كانت موجهة إلى أفراد أو إلى عموم الناس. وهذه أيضًا، نُشِر أكثرها ضمن كتب ومجموعات. وأما الباب الثاني من الكتاب فهو عما كتبه الشيخ محمد في مجال الفقه. ويتكون من فصلين: الأول: مشتمل على الكتب والرسائل والنبذ، والثاني: مشتمل على الفتاوى والأجوبة الفقهية. ويتكون الباب الثالث عما كتبه الشيخ محمد في التفسير والحديث والسيرة النبوية. وهو فصلان: الأول في التفسير، والثاني في الحديث والسيرة النبوية. أما الملحق الأول للكتاب فهو عن الشروح لمؤلفات الشيخ محمد. وأما الملحق الثاني فعن بعض مصادر ترجمته. وقد ذكر خمسة عشر كتاباً من تلك المصادر. وكان كاتب هذه السطور قد كتب رسالة نال بها الدكتوراه من جامعة ادنبرا عام 1392هـ/1972م، وكان عنوانها: الشيخ محمد بن عبدالوهاب : الرجل وأعماله العلمية. وقد جعل الفصل الرابع من تلك الرسالة بعنوان: «كتابات الشيخ محمد بن عبدالوهاب». ثم ألَّف كتاباً معتمداً على تلك الرسالة عنوانه: الشيخ محمد بن عبدالوهاب: حياته وفكره، وصدر أول مرة في القاهرة عام 1979م، ثم أعيدت طباعته في بيروت عام 1986م. وفي ذلك الفصل المُكوَّن من ثلاثين صفحة تَحدَّث عن مؤلفات الشيخ في أصول الدين وفروعه المتعددة؛ أسلوب كتابة ومنهج عرض، ومكان نشر ما نشر، أو الإشارة إلى أمكنة ما لا يزال مخطوطاً. ولأن ما كُتِب لم ينشر بالعربية إلا بعد صدور كتابات الدكتور أحمد الضبيب عن آثار الشيخ محمد بسنتين، فإنه لم يكن غريباً عدم إدراجه ضمن بعض مصادر ترجمة ذلك الشيخ.

ويبقى الأستاذ الدكتور أحمد الضبيب -بصفته عالماً موسوعياً عاشقاً للغة العربية الجميلة، مدافعاً نبيلاً عن حماها- علماً يجدر بطلاب العلم وطالباته الاقتداء به بذلاً وعطاء في خدمة الأمة التي ننتمي إليها جميعاً. زاده الله توفيقاً وسداداً وأكثر من أمثاله.

*أستاذ التاريخ بجامعة الملك سعود
وأمين عام جائزة الملك فيصل العالمية

هكذا يكبُر الكبير

*د. عوض بن حمد القوزي

قبيل كتابة هذه الخاطرة قابلته في الجامعة وهو يبحث عن طلابه؛ ليعجل لهم جرعة المعرفة قبل حلول أجلها، فسألته من باب الفضول عن السبب، لأن العادة جرت أن يبحث الطالب عن أستاذه ليستأذنه، أو يعتذر بظرف طرأ مما يضطره لطلب التعجيل أو التأجيل، وما ظننت العكس موجودًا في هذه الأزمان، واتسع الحوار، فوجدت صاحبي يلتمس كل وسيلة للاتصال بطلابه، فالهاتف المحمول، والبريد الإلكتروني أو أي وسيلة للربط بهم كانت مجال النقاش، وعرفت من الرجل صدق النيَّة، والإصرار على أن يبلغ الخبر طلابه؛ ليبحث معهم موعد اللقاء القريب ليعوضهم عما يشعر أنه اضطر إلى اختزاله من وقتهم، وكان وراء الرجل سفرٌ لمهمات علمية خارج المملكة، وكشف عن تصميمه على أن يقطع الرحلة ليلتقي طلابه في محاضرة لا يفصلها عن إجازة الحج غير يوم واحد. أكبرت هذا التصميم في الرجل، واستعنت بإداري في القسم علَّنا نجد وسيلة للاتصال بالطلاب، فنبلغهم الأمر، وعندئذ تبرأ الذمة ويرتاح الضمير. مرَّ الوقت ولم يحضر أحدٌ من الطلبة وظل الرجل يترقب، متحفزًا لأداء الواجب، وشعرت عندها كم هو صعب على مثله أن يتأخر أو يغيب عن المحاضرة دون أن يعوّضها بأخرى قبلها أو بعدها، فتساءلت: هل يتلبس مثل هذا الإحساس بالمسؤولية جمع أساتذة الجامعات أم أن صاحبي من جيل لم يتلق تدريبًا في المراوغة والتخلص من الواجب عند أي ذريعة؟!

عدت بالذاكرة إلى السنوات العشر الأخيرة من القرن الهجري الماضي يوم كان هذا الرجل نفسه يدرّس لنا مادة الأدب في العصر الأموي، وما ترك في ذاكرة طلابه من جديَّة التلقي، وصدق الالتزام بالوقت، والحرص على بذل المعرفة إلى أقصى حدودها. تذكرته وهو يعرض عليَّ قبل التخرج في الجامعة أن أنضم إلى العاملين تحت عمادته في مكتبة الجامعة، على وعد بالابتعاث للتخصص في علوم المكتبات، وشهدت الحماس عنده يتجدد حينما عينت معيدًا في قسم اللغة العربية، أحسست منه الرعاية غير المباشرة، والتشجيع غير المحدود لحملي إلى التخصص في أحد فروع المعرفة لخدمة القسم بخاصة والجامعة بعامة. جلست برهة أقلب صفحات الماضي الذي توثقت فيه الروابط العلمية بيني وبينه، مرورًا بتشجيعه لي على تحمل الاغتراب في سبيل تلقي المعرفة، فترحيبه بقدومي حينما عدت من الغربة، فوقوفه إلى جانبي في كثير من الأمور وهو على كرسي المسؤولية الرسمية في إدارة الجامعة وكيلاً ومديرًا لها، ولكني لمست ذلك السلوك منه مع جميع منسوبي الجامعة فعرفت أنها جِبِلَّته التي طُبعت على خدمة الآخرين وحفزهم على الإنتاج، ودفعهم إلى الإبداع في غير مجاملة أو إضاعة حق أو واجب، يصارحك بالحقيقة في لطف، ويمنحك الثقة ما دمت على قدر المسؤولية، وأشهد أني ما لقيته في موقع إلا ودار بيننا حوار حول البحث العلمي وما نحن فيه من جديد مفيد، لا يسأل عن المال ربحه أو خسارته، ولا عن شيء، وراء ذلك، بل همه أخبار العلم ومدى التقدم في مشاريعنا العلمية.

وعند انضمامي إلى مَجْمَعَيْ اللغة العربية في كل من دمشق والقاهرة لقيته قبلي، ينافح عن هذه اللغة بحكمة ووعي، ويناقش علماءها بمعرفة عميقة وأسلوب متين، أبحاث في اللقاءات العلمية رصينة، ومحاوراته كلّها تحمل الجديد من الأفكار، تدل دائمًا على متابعته لما يطرح في الساحة العلمية من أطروحات، في أسلوب يحفظ للرأي الآخر حقه، وقد يحمله إلى العدول والمتابعة إذا وضح له الصواب. تراه يقدم إلى مقر المؤتمر مع أول القادمين، ولا يتشاغل بأي أمر غير الموضوعات المطروحة، ولا ينصرف منها إلا مع آخر المغادرين، رجلٌ لا يجاملك في الحقائق، ولا يخالفك لأجل المخالفة، ولكم نال الثناء من علماء المجمعين؛ لِمَا يطرحه من الأفكار، وما يتمتع به من دماثة الأخلاق، ولقد شهدت استقباله في مجمع الخالدين بالقاهرة وهو يُكرَّم بالانضمام إلى عضوية المجمعين العاملين وعندها أدركت أن الشرف لا يكون إلا بالعلم، وأن الناس العقلاء تشرف بتكريم العلماء. فهنيئًا لك أستاذي الفاضل (أحمد بن محمد الضبيب) على هذه الروح الطيبة، وهنيئًا لك التواضع الذي رسم البسمة على شفتيك، وحبب إليك خلقه، وجعلك بينهم في بؤرة الودّ والاحترام.

*أستاذ النحو والصرف بجامعة الملك سعود